إمبراطورية الباراكيت

" الباراكيت " هو اسم يطلق، في الغالب، على ذلك النوع من طيور الببغاء أخضر اللون، ضئيل الحجم، طويل الذيل، قصير العمر. إنه مسالم جدًا، ولا يكف عن الدوران حول مصادر الضوء في الأمسيات الصيفية. وتبدو تحركات ببغاوات الباراكيت غير خاضعة لفكرٍ يتَّسِمُ بالذكاء؛ ولأنها تفتقد إلى ما للذبابة من رؤية ثاقبة وردود فعل فورية، فإن الإزعاج الناجم عنها يمكن التخلص منه بسهولة، وذلك بسحقها بين الإبهام والسبابة. وليس للباراكيت قدرة البعوض على اللدغ، وبالرغم من ذلك فهي تجلب إزعاجًا شديدًا لأي شخص يحاول أن يقرأ أو يتناول طعامه، حيث ترمي الباراكيتات أجسامها، دون تمييز، إلى وجهك وعينيك، وتسحب الحساء من طبقك؛ كما أنها تلطِّخُ ما تكتب. فإذا عمدت إلى نفض الخمسة أو الستة باراكيتات التي تتمشى فوق شوكتك، تجد في أذنيك، أو فوق أنفك، عشرة أو أثني عشرة باراكيتات أخرى.

فلماذا كُتِبَ على هذه الطيور الخضراء الضئيلة أن تحيا غبية مأفونة .؟

إن سلوكياتها قد تكون هي الأقل حكمة ورجاحة بين سلوكيات سائر المخلوقات؛ وليكن من يعتقدون في أن ذلك السلوك سائد بين كل الحشرات على يقينٍ من خطأهم؛ وإليكم مثالًا : فبمقدور الإنسان أن يؤسس مع صرصورٍ علاقة من نوع ما، إن لم تقم على المودة فهي تخضع للمنطق،

على الأقل؛ فالإنسان يحاول أن يقتل الصرصورَ، والأخيرُ يسعى للفرار، أو ليتخذ مخبأً. إن هذه العلاقة، على بساطتها، مستحيلة مع الباراكيتات، فلا أحد يعرف ماذا هي فاعلة، أو لماذا تفعل ما تفعله.

ويتساءل الدكتور لودفيج بويتوس في واحدة من أحدث أوراقه البحثية :

"هل يعد سلوك الباراكيت ضربًا من الجنون، حقًا؟. دعونا نبدأ من مُسلَّمَةٍ تقول بأن كل المخلوقات تسخِّرُ جلَّ جهودها لتصون وجود أنواعها؛ فلماذا يسلك الباراكيت على هذا النحو الاستثنائي المغاير لقانون محقق ثابت ؟ ".

ويضيف الرجل قائلًا : " إن على الباحث المعاصر ألا يلزم ذاته بشروحات بسيطة تقول بعفوية واعتباطية أفعال الباراكيت، ولكن عليه أن يبذل جهدًا ليتثبت من وجود منطق حقيقي وراء ما يبدو من عبثية وغياب منطق في سلوكيات الباراكيت، التي هي مجرد تعبير خارجي لدوافع داخلية، لعل هذا هو الوقت المناسب للكشف عن ماهيتها ".

يورد الدكتور بويتوس في تلك الورقة البحثية حقيقتين كانتا تلقيان إهمالًا عامًا؛ الأولى تقول بأنه قد لوحظ في الوقت الحالي أن الباراكيتات تحوِّمُ حول أدمغة البشر أكثر من تحويمها حول الأضواء؛ والثانية، أن أعدادها في تزايد. كما يشير في ورقته تلك إلى أن هذه الباراكيتات، بالرغم من أنها تبدو مفتقدة للحد الأدنى من أسلحة الهجوم والأسلحة الدفاعية، إلاَّ

أنها تمتلك القدرة على دفع الإنسان، أو بالأحرى هي تدفعه فعلًا، لحالة من التشوش التام، حين يتكالب عليه مائةٌ أو ألفٌ منها، ينهكونه بهجمات متكررة، فيدخلون أذنيه وعينيه، ويتمشون على رقبته، فيمنعونه من التفكير، ويحولون بينه وبين القراءة والكتابة والنوم. هنا، يصبح الإنسان، لا الباراكيت هو العاجز عن إدراك ما يفعله، ولماذا يفعل ما يفعله. إنها حالة يكون فيها الإنسان غير قادر حتى على تبين كينونته، ومتى حلَّت به تلك الحالة، يفقد الوعي بذاته، وينتهي به ذلك حتمًا لأن يرضخ لحقيقة أن الباراكيتات تحيط به وتتسلط عليه. الأكثر من هذا أن الإنسان، بعد ذلك، لا تستقيم له حياة بغير الباراكيتات .. بغير أن يشعر بها بداخل أذنيه وعينيه وفمه. وتلك ظاهرة معروفة في مجال الإدمان بالتعويل، أو التبعية؛ وهي – كما يقول بويتوس – الغرض الحقيقي من الباراكيتات، والمنطق الخفي وراء ما يبدو عبثيًا وغير معقول في سلوكياتها.

إن الباراكيتات لا تني تمدد امبراطوريتها، وهي القائمة على إدارة شئون كل أمة متحضرة، ويزداد إحكام قبضتها بازدياد التقدم التكنولوجي للأمم؛ وحيثما يتوفر ضوء الكهرباء تتعاظم سيادة الباراكيتات. فانظر في أطلس العالم لترى أن ثمة عددا قليلًا من البلاد لا يزال محتفظا بتحرره من امبراطورية الباراكيت. وعلى أي حال، ففي اعتقادنا أن الحديث عن خرائط في هذا الصدد ضرب من الوهم الباطل، فلسنا بإزاء امبراطورية بالمفهوم

السياسي؛ فالباراكيتات لا تحكم ولا تتحكم إلا بالعقول، التي إن اخترقتها الباراكيتات بدأت تصيب سائر الأجسام بالبركتة، فتنخرط هذه – بدورها – في القيام بأفعال باراكيتية.

وينهي الدكتور بويتوس ورقته البحثية بقوله : وعليَّ أن أذكر هنا أن المجتمعات البدائية والبلدان الأفقر في العالم هي وحدها التي بقيت خالصة من أسر الباراكيتات؛ وهي البلدان التي لم تتعرض لتأثير الميديا على التجمعات البشرية.